تحولات الزمن في شعر البهاء زهير

م.د. حازم حسن سعدون

توطئة

حظيت دراسة الزمن في الأدب باهتمام كبير في النقد الحديث، فالأدب كما يرى قسم من الدارسين فن زماني(1) وانطلاقا من فكرة أن هناك أنواعا أدبية أكثر التصاقا بالزمن ، بلغ الاهتمام بهذا العنصر مداه الأبعد في النقد الروائي، وقاد هذا الأمر البعض الى الاعتقاد أو الإيمان بأن الزمن هو أهم عنصر في الرواية المعاصرة ، بل هو الشخصية الرئيسة فيها.(2) وتزايد الاهتمام بدراسة الزمن في الأدب بمختلف أنواعه ، ومنها الشعر ، فهو يشكل عنصرا أساسيا في الشعر ، وله أثر كبير في تعزيز التجربة الشعرية وتأطيرها جماليا وفنيا ، فالتجربة الجمالية إن لم تكن زمانية ((لافتقرت إلى كثير من الحيوية والإثارة))(3) و((التعبير الذي لا يلبس طابعاً زمنياً يتحول إلى موت)).(4)

وقد قام التفكير الفلسفي في موضوع الزمن على ثنائيات ضدية من ثبات وتغير ، واستقامة ودوران ونسبية واستقلال مطلق ومثالية وموضوعية واتصال وانفصال.(5) وفضلا عن تقسيم الزمن الى القبل والبعد ، فقد قسم أيضا على الماضي والحاضر والمستقبل وعرفت بأبعاد الزمن الثلاثة. وأشار النقاد الى أزمنة مختلفة داخل الإطار النصي ، فقد أشار تودوروف انطلاقا من نظام الأخذ بنسق الأحداث بوصفها تمثل أزمنة الى نوعين من النظام

الزمني :الزمن الحكائي (زمن الخطاب) ، والزمن المحكي (زمن التخيل) ، فضلا عن انه شخص حالات زمنية تتعلق بسرد الأحداث داخل الإطار النصي كالتوازي والاسترجاع والاستقبال أو الاستباق(6) وفي المقابل يميز ناقد آخر ثلاثة أنماط زمنية هي : زمن المغامرة المتخيلة ، وزمن الكتابة ، وزمن القراءة(7) فضلا عن التقسيم الجزئي لبناء الزمن في بنية النص كالتتابع والمستمر والمنقطع والدائري.(8)

والزمن في الأدب نفسي وفكري، فأما النفسي فهو ذلك الإحساس الرهيف بوقع الأيام والسنين على الإنسان، وينبثق منه الاغتراب والوحدة والشعور بوحشة اللحظات، فيهرب الشاعر إما للماضي فيبكي أمسه الضائع أو يستشرف المستقبل بعد أن تتمحي من ذاكرته وطأة الحاضر عليه(9) فالإحساس بالزمن يكون إحساساً نفسياً خالصاً يقاس بوقعه على النفس(10) وأما الفكري، فهو الموقف من الحياة والناس وما يسود المجتمع من سياسات واختلال في موازين القيم والأخلاق وهذا الزمن يندمج بالزمن النفسي ويولد موقفاً وجدانياً تقرره قوة إرادة الشاعر على التعبير عن حركة وجدانه في شعره،(11) وغالباً ما يكون الزمن الفكري رمزياً وتحمل علاماته ألفاظ الزمن نفسه، ويدل عليه سياق الحال في بناء الشعر وأغراضه.

والذي يهمنا في هذا البحث هو الزمن النفسي ، بوصفه بنية نفسية في الأدب ولأنه يشكل وعينا للزمن بوصفه جزءا من الخلفية الغامضة للخبرة ، أو كما يدخل في نسيج الحياة الإنسانية والبحث عن معناه في نطاق الخبرة ، وعلى ذلك يتم تحليل الزمن في النص الشعري ضمن نطاق رؤية الشاعر له من خلال شبكة العلاقات النصية القائمة ، وهذا ما سنعتمده في بحثنا هذا الذي يتناول دراسة الزمن عند البهاء زهير ذلك الشاعر العباسي الذي نلمس في شعره تعاملا خاصا مع البنية الزمنية من خلال مزج المنظومة الشعرية بالداخل الإنساني والتعبير عن التجربة الخاصة من خلال زمن شعري خاص ، فقد دل الاستقراء لديوان البهاء على أن الزمن عنده

متشعب ومتداخل في مجمل أغراضه ، وهو عنده إيقاع وجداني ينم عن صدق الإحساس لأنه مرتبط ((بالسيرة الحياتية وبهوية الذات))(12) كما ينم عن صدق التجربة التي نقلها إلينا بصدق فني قل نظيره عند شعراء عصره. وصوره لنا من خلال قصائده التي تتعدد فيها الأغراض ليتابع من خلالها تداعى المشاعر والانفعالات والأحاسيس في نفسه (13) فما يميز الأديب: سرعة الانفعال والتوتر مع القدرة على ضبط هذا الانفعال.وهذهِ السيطرة تكون عن طريق القصيدة التي تحتوي الانفعال لاسيما الانفعال الذي يسببه الموقف من الزمن فالقصيدة ((زمن يتضمن ما هو أكثر من الزمن))(14) والأكثر من الزمن هو الشعور والعاطفة والمضمون.

وعلى وفق ما تقدم انقسم هذا البحث على قسمين أساسيين: الأول: تناول التحولات الزمنية على المستوى الأفقي (الماضي والحاضر والمستقبل) ، وما ينتج عنه من استعمال تقنيتي الاسترجاع والاستباق لإظهار الجانب الفني والجمالي وإكساء النص نوعا من الخصوصية والتفرد. أما الآخر فقد تناول التحولات الدلالية لمفردات الزمن والفاظه ضمن المنظومة اللغوية الخاصة بالبهاء زهير التي تعكس تعامله مع هذه المفردات.

أولاً . تحولات الخطاب الشعري زمنياً:

لم يعد الزمن في الشعر عنصراً سردياً يقع على عاتقه تحديد مدة الحدث حسب ، وإنما تجاوزها الى أبعد من ذلك حتى أصبح ((مفتاح ذلك الشعر))(15) لأنه تصوير لواقع جديد سيولد في المستقبل من الماضي والحاضر ، فوظيفة الزمن خلق الوهم لدى القارئ بأن ما يقرأه قريب من الواقع أو جزء منه ، فالشاعر في قصيدته يتجه

نحو جو مليء بالحركة من خلال العناية بتشكيل الصورة وتنويع المشاهد ليرسم لوحة تتناغم مع أبعاد تجربته الخاصة ، لذلك يلجأ الى الزمن ليقرب صورة الحدث في بث واقعيته في ذهن المتلقي. فهو ((لا يحدد الأبعاد الزمنية الثلاثة بميلاد وموت وخلود ولا بمستقبل جيل أو أجيال ، ولكنه يغرق في لجة هذا الزمن العاتي الذي يلف البشرية كلها بأهواله ، ويرى الانسان الحقيقي يقود الماضي الى الحاضر ويمضي بالحاضر الى المستقبل بتعادل متزن ، فتصبح الحياة أكثر بهاء وأقل حزنا ، ويمثل الفرد انتماءه الإنساني بشكل يتفوق على ذاته ويتجاوزه))(16) فيحقق بذلك زمنية خاصة به تتداخل فيها كل آفاق الوجود وأبعاده وتسهم في حيوية القصيدة وترسم أبعاد تجربته ، من خلال خلخلة نظام الزمن الفيزياوي (الماضي والحاضر والمستقبل) وهو ما يجعله غير مقتصر على عرض الأحداث فقط ، وإنما يحقق له حرية التنقل بين تلك الأزمنة ، وهذا ما يظهر لنا في قصائد البهاء زهير ، إذ تتداخل فيها الأزمنة ، ولا يستقر الشاعر على زمن معين ، وإنما يتنقل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، بعيدا عن النمط التقليدي الذي يعتمد التسلسل المنطقي للأحداث ، واعتمادا على حركة المخيلة الشعرية التي تتراوح بين التذكر والترقب ، بين العودة الى ماض سحيق ، وبين لحظات التنبؤ المتجهة نحو المستقبل ، فتتداخل الأزمنة وتتواشج حتى تبدو القصيدة أحيانا شبكة كبيرة من تشكيلات زمانية يقف الشاعر فيها في لحظة الحاضر المستمر.

إن هذا التلاعب الزمني والتداخل الحاصل بين الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) يمكن أن نرده الى التفاوت الحاصل بين زمن الخطاب الشعري والأحداث الواقعة داخل النص الشعري ، وهو ما يسمى بـ ((المفارقات الزمنية))(17) الناتجة عن استخدام الشاعر لتقنيتي : (الاسترجاع والاستباق). ومن هنا ارتأى

الباحث الوقوف على هاتين التقنيتين وبيان أثرهما في البنية الزمنية للخطاب الشعري عند البهاء زهير.

1- الاسترجاع

هو ((كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها))(18) وبعبارة أخرى فانه يعني قيام الشاعر بترك الأحداث الحاصلة في زمن الحاضر ليعود الى الوراء على وفق ضرورة فنية تكمن في سرده أحداثا سابقة مسترجعا في أثناء ذلك ذكريات الأحداث والشخصيات والأمكنة.

والشاعر عندما يقوم باسترجاع ذاكرته الشعرية إنما يقوم بفتح آفاق على ماض في سياق نصه الشعري من أجل إعطاء الماضي . الذكريات . صورته النموذجية وشيئا من الخصوصية والتفرد ، فـ ((الزمن بالنسبة للإنسان ، دائما زمن ارتجاعي ارتدادي))(19) قابل للاستعادة والاستحضار كلما تطلب الإبداع ذلك.

وقد تهيمن تقنية الاسترجاع على بنية الخطاب الشعري في كثير من قصائد البهاء زهير بالشكل الذي تمثل فيه هيكل بنائها العام والعمود الفقري الذي يحرك جميع مفاصل النص الشعري،ونجد ذلك واضحا في قصيدته التي يحن فيها الى أيام الطفولة والصبا تلك الذكريات المحببة الى القلوب ، إذ تعتلق صورها في ذاكرة الإنسان ولا تفارق مخيلته ، تلك الصور التي تقوم على العبثية وتفتقر الى التوازن النفسي والاجتماعي ، يقول:(20)

سقى الله أرضاً لستُ أنسَى عهودَها ويا طول شوقي نحوها وحَنِيني
بلاد إذا شارفتُ منها نجومَها بدا النُّور في قلبي وفوق جبيني
منازلُ كانتْ لي بهنّ مَنَازلٌ وكان الصِّبا إلفي بها وقَريني

تذكّرتُ عهداً بالمحصَّب من مِنًى   وما دونُه من أبطحٍ وحَجُون
وأيّامنا بين المقامِ وزمزمٍ   وإخواننا من وافدٍ وقَطين
ويا طيب نادٍ في ذُرا البيت بالضُّحى   وظلٍّ يقوم العَوْدُ فيه بِجين
وقد بكرتْ من نحو نَعْمان نسمةٌ   تُحَدِّث عن أيكٍ بهِ وغُصون
زمانٌ عهدتُ الوقتَ لي فيه واسعاً   كما شئتُ من جِدٍّ به ومُجُون
إذ العيش نَضْرٌ فيه للعين منظرٌ   وإذ وجهه غضٌّ بغير غُضُون

فالنص هنا يشكل فيه الاسترجاع بنية رئيسية من دون أن نلمس للزمن الحاضر أي وجود ذلك لأنها تبدأ وتنتهي باسترجاع يقوم على استعادة أيام الشباب التي عاشها البهاء في أرض الحجاز ، وهو هنا لا يستطيع فصل العنصر الزماني عن المكان لان صور المكان كانت جزءا رئيسا من ذكرياته فالزمان يمثل زمن الصبا بجده ومجونه (وكان الصبا ، تذكرت عهدا ، وأيامنا ، زمان عهدت الوقت) والمكان أرض الحجاز بكل بقاعها ونواديها (منازل كانت ، بالمحصب من منى ، أبطح وحجون ، بين المقام وزمزم ، ذرا البيت ، نعمان). فاسترجاع الزمن هنا مرتبط بمشاعر الحنين الى أمكنة الماضي لما يمثله المكان من تاريخ شخصي ، أو لما يمثله من مغامرات عاطفية ظلت مخزونة في ذاكرة الشاعر فهو يظهرها بدماء جديدة عبر فعل (التذكر) متحديا قانون الزمن ومتخطيا أبعاده الطبيعية ليرسم من خلال هذا التآزر بين عنصري الزمان والمكان صورة الحنين المشوب بحسرة وشوق الى تلك الأيام الجميلة (أيام الشباب) ، إذ كان كل شيء فيها غض مفعم بالشباب والحيوية (الصبا ، ويا طيب ، وظل يقوم ، بكرت....نسيمه ، العيش نظر ، وجهه غض بغير غضون).

لقد أدت الاسترجاعات دورا بارزا من الناحية الزمنية في استحضار ذكريات الماضي في أغلب قصائد البهاء زهير ولاسيما الذكريات الأليمة التي كانت تكشف عن الألم الذي يعتري الشاعر من جراء فراق الأحبة وهجرهم له ، من ذلك قوله:(21)

أسفي على زمن التَّلاقي   والعيش متّسع النّطاقِ
ورداء تيهٍ كنت أرْ   فُلُ في حواشيهِ الرِّقاقِ
أيام مصر ليتها   فديت بأيامي البواقي
وبجانب الفسطاط لي   قمر يعز له فراقي
قمر شربت له الفرا   ق المر بالكأس الدهاق
وأرقت فيه دمي فكيـ   ف ألام في دمعي المراق
أحبابنا ماذا لقيـ   ت من البعاد وما ألاقي

يبدو ألم الفراق واضحا منذ الوهلة الأولى (أسفي) إذ يتحسر على زمن تقضى مع أحبته ، ونراه يذرف له الدموع ، ويفدي له أيام عمره الباقية . وينقسم الاسترجاع هنا الى زمنين ماضيين ، الأول ماض بعيد (زمن التلاقي ، أيام مصر) حيث كان الشاعر في سعة من العيش ينعم بلقاء أحبته ويتزود منهم كل ساعة وفي كل وقت وحين . أما الزمن الآخر فهو زمن قريب يبدأ بعد انتهاء الزمن الأول أي بفراق الأحبة ويستمر حتى اللحظة الآنية التي يتحدث فيها الشاعر (لحظة القول) . وهذا الزمن القريب كان زمنا صعبا على الشاعر لأنه زمن الفراق الذي عانى منه الشاعر وذاق مرارته وذرف على أحبته بدل الدموع دما لا يلام عليه . إذ لم يكن يؤنسه فيه سوى طيف الحبيب ، إذ يقول:(22)

ولقد تفضَّل طيفُكُم   ليلاً وأنْعَم بالتَّلاقِ
وسَرَى وبات مُضاجِعِي   واللَّيْلُ مسدولُ الرِّواقِ
فقطعتُ أنْعمَ ليلةٍ   مابين لَثْمٍ واعْتِناقِ
ثمّ انتبهتُ وجدت إثْـ   رَ الطِّيب في بُرْديَّ باقِ

هذا النص يمثل أقصوصة قصيرة تدور أحداثها في الزمن الماضي القريب ، وقد كان زمنها محددا تحديدا طبيعيا يتجسد في (ليلا ، سرى) ، وتبدو الدلالة الزمنية

مكتنهة ومحدودة زمنيا سياقيا بواسطة (مسدول الرواق) التي تشير الى أقصى أوقات الظلمة في الليل وان استحضار الليل هنا مثل تعبيرا عن الزمن النفسي ، إذ تحول هذا الزمن (الليل) من الطبيعة القاسية التي يعيشها العشاق فيه الى ليلة ممتعة استأنس فيها الشاعر بطيف الحبيب.

ومن الملاحظات المهمة التي يمكن أن نسجلها هنا ان الاسترجاع عند البهاء زهير أخذ يشكل نوعا من الاحتيال في الزمن ، إذ يبتعد الشاعر كثيرا عن التحديد الزمني وذلك لشمولية التجربة التي تضيق بالتوقف عند زمن محدد فهي في توسع وانطلاق من الحاضر الى الماضي ، القريب أو البعيد. يقول:(23)

رعى اللهُ أياماً تقضَّتْ بقربكُمْ   كأني بها قد كنتُ في جنَّة الخُلْدِ
هبُوني امرأً قد كنتُ بالبينِ جاهلاً   أما كان فيكمْ منْ هداني إلى الرُّشْدِ
وكنتُ لكمْ عبداً وللعبْد حُرْمةٌ   فما بالكمْ ضيعتمُ حُرْمة العبْدِ
وما بالُ كُتْبي لا يُردُّ جوابُها   فهلْ أُكْرمتْ ألا تقابل بالرَّدِ
فأين حلاواتُ الرَّسائِل بيننا   وأين أماراتُ المحبة والودِّ

لقد عمد الشاعر الى تلك الانتقالة الزمنية ليملأ ذهنية المتلقي بالمعلومات التي يمكن الإفادة منها في تفسير الأزمات النفسية التي يمر بها في الزمن الحاضر ، فيرتبط بذلك ماضي الأحداث بحاضرها ، فنراه يتأسف على ذلك الزمن الذي كان يجمعه بقرب أحبته (رعى الله أياما....) ويطلق لذلك عنان الخيال ليرسم صورة ذلك الزمن من خلال التشبيه (كأني) ، فيشبهه بجنة الخلد. وقد ازدحمت المنظومة اللغوية لهذا النص بالأفعال الماضية التي عكست مدى الشوق والحزن اللذين تحملهما أحشاء الشاعر (تقضت بقربكم ، كنت في جنة الخلد ، كنت بالبين جاهلا ، أما كان فيكم ، وكنت لكم عبدا ، ضيعتم حرمة العبد) . وعلى وفق ذلك يمكننا القول إن زمن الخطاب الشعري في هذه القصيدة زمن وجداني كان الماضي محوره الأساس ، فهو

زمن متعلق بالواقع الداخلي والمعاناة الفردية للشاعر ، لذلك اتسمت لغته بالشفافية والذاتية ، كما اتسمت بتكرار الاستفهام الذي شكل ظاهرة انفعالية وجدانية تكشف عن إحساس بالمرارة والأسى والألم والحزن والشوق الى أيام الزمن الجميل (أما كان فيكم ، فما بالكم ، وما بال...، فهل أكرمت...، فأين حلاوات...،وأين أمارات...) فضلا عن ان هذا الاستفهام يوحي بالضياع والحيرة والصدمة التي تلقاها الشاعر من جراء الهجر والفراق.

لقد كان للاسترجاع في شعر البهاء زهير اثر بارز من الناحية الزمنية يتجسد في استحضار ذكريات الماضي ليحاكي بها مشاعر المتلقين ويستدر عواطفهم وانفعالاتهم كونه أداة حث لاستذكار ما يحمله الماضي من آلام وأوجاع.وتتمثل اغلب هذه الاسترجاعات عند الشاعر باستعمال المفردات (تذكرت ، أذكر ، أحن ، عهدي ، عهدت ، يأسفي ، ياحبذا......) وغيرها من المفردات التي تكسر أفق الزمن الحاضر في السياق الشعري وتفصل الشاعر عن اللحظة التي هو فيها وتعود به الى زمن ماض يعبر عن سيرة ذاتية ويقدم لنا باطن حياة الشاعر الماضية –العاطفية والنفسية– ولنسمعه يقول:(24)

أحِنُّ إلى عهد المحصَّب من مِنًى   وعيشٍ به كانت تروق ظلالُهُ
ويا حبذا أمواهُه ونسِيمُهُ   ويا حبذا حصْباؤُهُ ورِمالُهُ
ويا أسفي إذْ شَطَّ عنِّي مَزَارُهُ   ويا حزني إذْ غاب عنِّي غزالُهُ
وكم ليَ بَيْنَ المروتَيْنَ لُبانَةٌ   وبَدْرُ تَمامٍ قد حَوَتْهُ حِجالُهُ
مقيمٌ بقلبي حيثُ كنت حديثَهُ   وبادٍ لعيني حيثُ سرتُ خَيالُهُ
وأذكر أيّام الحِجاز وأنثنِي   كأنّي صريعٌ يعترِيه خَبالُهُ

تبدأ الذات الشاعرة باستدعاء الذكريات الفائتة التي لها علاقة وطيدة بالحالة النفسية الحالية من خلال مجموعة من المفردات التي شكلت مفاتيح زمنية كسرت

الزمن الحاضر وعادت بالخطاب الشعري الى الزمن الماضي وهي (أحن ، ياحبذا ، يأسفي ، واذكر) . وقد كشف هذا الاسترجاع عن تجربة عاطفية وجدانية تتعلق بذات الشاعر كما كشفت عن عمق الحزن (ويا حزني) الذي يعانيه الشاعر من جراء انفصاله عن ذلك الزمن وعن أيامه الجميلة التي مثلت له أجمل أيام حياته . ويكشف النص السابق عن آلية زمنية أخرى تتجسد بالديمومة والاستمرارية الزمنية التي تمثلها الأداة (وكم) إذ ان فيها ديمومة على تكرار الفعل في زمن متكرر يدخل ضمن الزمن الماضي وينقطع بانقطاع ذلك الزمن.

وعلى وفق ذلك يمكننا القول ان الشاعر في النص السابق يحاور الزمن ويبث أحاسيسه فيه من خلال الزمن الشعري المثقل بالخصب والتجربة والمتسم بالفاعلية والنشاط ، فهو لا يعد بالنسبة للشاعر زمنا منقضيا أو ذكرى ميتة لا يمكن استعادتها أو بعث الحياة في رمادها بل هو العكس من ذلك تماما حياة متفردة وطاقة روحية جياشة وهو أيضا زمن يكتظ بالدلالة والغنى والتوتر.(25)

وقد كان موقف الوداع من المواقف التي تتكرر كثيرا في شعر البهاء زهير وكانت تمثل لديه انكفاءة الى الزمن الماضي فيستعيد تفاصيل الموقف بكل آلامه وأوجاعه وينطلق منه ليعود الى زمن ابعد فيستذكر الأيام الجميلة التي كان يعيشها مع الحبيب المودع.

وقد كان من عادة الشعراء العرب منذ الجاهلية في تصوير موقف الوداع أن يصوروا ركب الأحبة وهو يرتحل عنهم وتظل أعينهم ترقب ذلك الركب الى ان يغيب عن أنظارهم وهم يذرفون الدموع حزنا على فراق الأحبة . وعلى غير العادة نجد البهاء زهير يستذكر موقف الوداع ولكن ليس كوداع الشعراء الآخرين لان الراحل هنا هو الشاعر ، والحبيبة هي التي تودعه وتسلم عليه ، وتذرف الدموع ، يقول وهو يسترجع هذا الموقف:(26)

وقائلةٍ لمَّا أردتُ وَدَاعَها حبيبي أحقًّا أنت بالبينِ فَاجِعي
فيارب لا يصدقْ حديثٌ سمعتُه لقد راع قلبي ما جرى في مَسامِعي
وقامت وراءَ السّتر تَبكِي حزينةً وقد نَقَبَتْه بينَنَا بالأصابعِ
بكت فأرتنِي لؤلؤاً متساقطاً هوًى فالتقتْه من فضول المقانعِ
فلمَّا رأتْ أنَّ الفِراق حقيقةٌ وأنِّي عليه مكرهٌ غيرُ طائعِ
تبدَّتْ فلا والله ما الشمسُ مثلَها إذا أشرقت أنوارُها في المطالِعِ
تُسلِّم باليمنَى عليَّ إشارةً وتمسح باليسرى مجارِي المدامع
ومابرحت تبكي وأبكي صبابةً إلى أن تركنا الأرض ذات نقائع
سَتُصْبِح تلك الأرض من عَبَرَاتِنا كثيرة خِصْبٍ رائقِ النَّبْتِ رائِعِ

إن الزمن في هذا النص زمن نفسي جاء ليخرق زمن الخطاب الآني (وقائلة) لكي يعيدنا من خلال الاسترجاع (لما أردت) الى لحظات تبلور الأزمة الداخلية المرافقة للشخصيتين (الشاعر والحبيبة) وذلك في موقف الوداع الذي شكل محوراً في استرجاع الذكريات التي أيقظها عالم اللاشعور . وتبدأ عملية التذكر والاسترجاع مع بداية حديثه مع الحبيبة التي أظهرت روحا غاية في الحب والوفاء ، ويظهر ذلك واضحا وجليا من خلال علامات الاستفهام والتعجب التي ظهرت في حديثها مع الشاعر فضلا عن بكائها وحزنها على فراق الشاعر . لقد أظهر الشاعر في هذه الصورة الاسترجاعية لموقف الوداع قدرة فائقة على الوصف والتصوير ، إذ وصف الموقف وصفا تفصيليا يستطيع المتلقي من خلاله ان يتصور موقف المرأة وهي تكشف النقاب عن وجهها بعد ان ذرفت دموعها لؤلؤا متساقطا وتمسح دموعها بيدها اليسرى وتسلم على الشاعر بيدها اليمنى ، فضلا عن الاشتراك الوجداني من خلال التفاعل النفسي مع هذا الموقف الحزين.

لقد كان الاسترجاع في هذا النص بمثابة مفكرة حكت لنا تفاصيل موقف الوداع الحزين ، والتفصيلات هنا كانت محاولة من الشاعر لإيقاف الزمن وتجميده ، أو أن يمسك به ويقف عند اللحظة الحاضرة في ذهنه.

وبعد هذه الجولة السريعة مع استرجاعات الشاعر يمكننا القول إن الاسترجاع شكل لديه ملمحا بارزا تمثل باستعادة الكثير من الذكريات التي كان لها الاثر في نفسه واختزنتها ذاكرته ، منها ما هو جميل وممتع ، ومنها ما هو حزين ومفجع . فهو في هذا وذاك يلجأ الى العودة بالذاكرة الى أحداث سابقة بحثا عن زمن أفضل من الزمن السابق ورغبة في تغيير الزمن الحاضر ، وأملا في زمن جميل يخفف عنه الأزمات النفسية التي يعيشها الآن . وهذا ما سنلحظه في دراستنا للاستباق عنده ، إذ سنراه يصرح بذلك تصريحا ، أو يلمح به تلميحا.

2-الاستباق

يعرف الاستباق بأنه عملية ((تتمثل في إيراد حدث آت ، أو الإشارة اليه مسبقا ، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث))(27) إذ يفارق الشاعر بخطابه الشعري زمن الحاضر ، مستشرفا زمن المستقبل عن طريق تقديمه أحداثا لاحقة الحدوث ، أو متوقعة الحدوث.

وقد أفاد البهاء زهير من هذه التقنية ، لاسيما أن الشعر يسمح بفتح آفاق المستقبل والتطلع اليه من خلال إعطاء إشارات مستقبلية في صورة استباق للأحداث المعاشة ، فالنص الشعري يسعى الى تحطيم أبنية الزمان والمكان من خلال عملية السرد الشعري.(28)

ويمكننا قراءة استباقات البهاء زهير على أنها تكشف عن حاضر مفقود لا يستطيع الشاعر ان يحققه إلا من خلال كسر الواقع والخروج بالزمن نحو آفاق المستقبل عله يجد فيه مبتغاه . يقول البهاء:(29)

ويا صاحبي بالخَيْف كُنْ لي مُسْعِداً   إذا آن من ذاك الحجيج ارتحالُهُ
وخذ جانب الوادِي كَذَا عن يَمينه   بحيث القنا يهتزُّ منه طِوالُه
هناك ترى بيتاً لزينبَ مُشْرقاً   إذا جئت لا يخفى عليكَ جَلالُهُ
فقل ناشداً بيتاً ومَنْ ذاقَ مثلَه   لدى جيرةٍ لم يدرِ كيف احْتيَالُهُ
وكن هكَذا حتَّى تُصادِفُ فُرْصةً   تُصيبُ بها مارُمْتَه وتنالُه
فعرّض بذكرِي حيث تسمع زينبٌ   وقل لَيْس يخلُو ساعةً منكِ بالُه
عساها إذا ما مرّ ذكري بسمعها   تقول فلان عندكم كيف حالُهُ

في هذا النص ينقلنا الشاعر نقلة مكانية وزمانية ، أما المكانية ففيها عودة الى المكان الذي شهد طفولته وصباه ومغامراته في الحب مع أحبته . أما الزمانية فهي تحليق في آفاق المستقبل بحثا عن خيوط لقاء مع حبيبته . فالشاعر يستعين بصاحبه لإيصال صوته الى محبوبته ، ويصف له المكان الذي تسكنه محبوبته (زينب) والطريق الذي يسلكه لكي يصل الى بيتها المشرق ذي الجلال والهيبة ، ويطلب منه عندما يصل الى هناك ان يذكر اسمه على مسمع حبيبته وان يبلغها انها لا تفارق خياله ، لعلها بدورها إذا سمعت ذلك ترسل سلامها له.

لقد استطاع الشاعر ان يخلق أجواء استباقية رسم فيها الأحداث والأماكن والحوار لصاحبه ، فكانت بمثابة خارطة يستدل بها في إيصال رسالته ، وقد شكل استعمال أسلوب الشرط (إذا آن من ذاك الحجيج ارتحاله) وأفعال الأمر (كن ، خذ ، فقل ، وكن، فعرض ، وقل) محور الاستباق الزمني الذي سجل الأحداث الاستشرافية من خلال القفز الزمني نحو مستقبل يطمح ان يحقق فيه الشاعر بعض ما يصبو اليه.

ومن ينعم النظر في استباقات الشاعر يجد انه يلجأ الى مجموعة من الإجراءات والأساليب التي تحقق له الانتقالة الزمانية من الحاضر الى المستقبل . ولعل ابرز

هذه الأساليب أسلوب الاستفهام ، وأسلوب التمني والترجي ، وأسلوب الشرط ، وأسلوب الأمر ، واستعمال الفعل المضارع المقترن بالسين وسوف ، وغيرها من الأساليب التي تكسر السياق الزمني الشعري لتعبر عن انفصال الشاعر وانقطاعه عن محيطه الاجتماعي والنفسي وانتقاله من الزمن الذي يدور فيه الخطاب الى زمن مستقبل يحقق خلاله ما عجز عنه في حاضره ويركب مفردات المستقبل بالشكل الذي يعيد له علاقات الانسجام مع ذاته ونفسه ويحقق له توافقا اجتماعيا نفسيا من خلال إعادة صياغة مفردات الواقع وتركيبها بالشكل الذي يشاء . ولنقرأ له قوله:(30)

ولمَّا قضى التَّوديعُ فينا قضاءه   رجعتُ ولكن لاتسَلْ كيف مَرْجِعِي
فيا عينيَ العبْرَى عليّ فأسكِبِي   ويا كبدي الحرّى عليهمْ تَقَطَّعِي
جزَى اللهُ ذاك الوجهَ خير جَزائه   وحيّتْه عنّي الشمسُ في كلّ مطلَعِ
وياربّ جدِّد كلّما هبت الصَّبَا   سلامي على ذاك الحبيب المودّع
قفوا بَعْدَنا تلْقَوْا مكان حديثِنا   له أرجٌ كالعنبر المتضوِّعِ
سيعلقُ في أثوابكم من تُرابه   شذا المسك مهما يُغسل الثّوب يسْدعِ

إن البنية الزمنية لهذا النص تنتمي زمنيا الى ماسيؤول اليه الأمر بعد موقف الوداع ، وقد استعان الشاعر لذلك بصيغة فعل الأمر (فاسكبي ، تقطعي ، جدد ، قفوا) وكذلك الفعل المضارع المقترن بالسين (سيعلق) ، فكان النص بمثابة دعوة شعرية اتخذت من الاستباقات هيكلا أساسيا لها ، فهو يدعو الى أمور استشرافية يتوقع حصولها في داخله كالبكاء وتقطع الأكباد . ودعوة أخرى يحلق بها في سماء الخيال فيدعو الله ان يرسل سلامه الى أحبته مع كل هبة لنسيم الصبا . ودعوة أخرى يدعو بها الى الوقوف في مكان التوديع (قفوا بعدنا) ، لان من يقف هناك يستاف أجمل العطور وأزكاها لان هذا المكان قد وقف فيه الأحبة وتبادلوا أجمل الأحاديث وأحلاها.

لقد اتكأ الشاعر في كثير من مقطعاته الاستباقية على مخيلته التي مانفكت ترفده بصور وأخيلة حول مواقف محزنة في استشرافات تمهيدية اتخذ فيه الاستباق ((صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص فتكون المناسبة سانحة لاطلاق العنان للخيال ومعانقة المجهول واستشراف آفاقه))(31) يقول البهاء:(32)

أَأحْبَابنا ماذا الرّحيل الذي دنَا   لقد كنتُ منه دائماً أتخوَّفُ
هَبُونِيَ قَلْباً إنْ رحلتُمْ أطاعَنِي   فإنِّي بقلبي ذلك اليومَ أُعْرَفُ
وياليت عيني تعرفُ النومَ بَعْدَكم   عساها بطيفٍ منكمُ تتألفُ
قفوا زوِّدوني إن مَنَنْتُمْ بنظرةٍ   تُعَلّل قلباً كاد بالبين يَتْلفُ
تعالوْا بنا نسرقْ من العمر ساعة   فنجْني ثمار الوَصْلِ فيها ونقطِفُ
وإن كنتمُ تَلْقَوْنَ في ذاك كُلْفَةً   دعوني أمُتْ وجداً ولا تتكلَّفُوا

يتخوف الشاعر هنا من يوم الرحيل الذي دنا موعده ، لذلك فهو يعد العدة ويتسلح له ولما بعده ، فيطلب من أحبته ان يهبوه قلبا يطيعه إذا ما أزمعوا الرحيل ، وكذلك يتمنى ان تعرف عينه النوم بعد فراقهم لكي يتسنى له رؤية طيفهم . ويطالبهم بنظرة وداع أخيرة يتعلل قلبه بها ولقاء أخير يتزود به منهم وإلا فالموت هو السبيل الأخير الذي يبعث له الراحة بعد فراقهم.

ان هذا النص يعد نصا استباقيا لأنه يدور في زمن المستقبل، فزمن الحدث(الرحيل)الموجب لذلك كله لم يأت بعد (الذي دنا) ، (ذلك اليوم) . وقد تحققت الدلالة المستقبلية من خلال لجوء الشاعر الى مجموعة من الأساليب التي حققت القفزة الزمنية نحو المستقبل هي الاستفهام (ماذا الرحيل) والشرط (ان رحلتم ، ان مننتم ، ان كنتم) والتمني في قوله (وياليت...عساها) وكذلك استعمال أفعال الأمر (هبوني ، قفوا ، زودوني تعالوا ، دعوني) .

وقد يسمو استباق الزمن الى آفاق الأمل والتفاؤل بعودة الحياة واللقاء والتواصل مع الأحبة بعد الفراق ، ونرى البهاء متحمسا لهذا الاجتماع وقد هيأ لأحبته الأحاديث المختلفة ، يقول:(33)

لعلّ اللهُ يجمعُنا قريباً   فنصبحَ في التئامٍ واتّفاقِ
أحدّثكم بأعْجَبَ ما جرى لي   وأصْعَب ما لقيتُ من الفِرَاقِ
وأُشفِي غُلتِي منكمْ إليكمْ   فإنّ الكُتْبَ لا تسعُ اشْتِيَاقي
خبأتُ لكم حديثاً في فؤادي   لأُتحفكُمْ به عند التَّلاقي
وأعتبُكم على ما كان منكم   عتاباً ينقضِي والوُدُّ باقي

الشاعر هنا يستعين بالأداة (لعل) ليجعلها الجسر الذي يعبر عليه الى زمن المستقبل بدلالة (قريبا) . ثم يأتي دور الأفعال المضارعة التي تحمل في بنيتها دلالة الحديث في ذلك الزمن الذي ستقع أحداثه قريبا (نصبح ، أحدثكم ، أشفي ، أتحفكم ، أعتبكم) كل هذه الأفعال تمثل دور الشاعر الذي سيلعبه عند التلاقي ، فهو سوف يقص لأحبته ما جرى عليه من ويلات الفراق ، ثم ينتقل الى أحاديث الحب والهوى والغرام التي تتحف الحبيب، ثم حديث العتاب الذي يزول مع دوام الحب.

ثانيا . مفردات الزمن وتحولاتها الدلالية:

يعد الزمن في النص الشعري من أكثر العناصر تجانسا مع بقية العناصر الاخرى، فهو ينعكس عليها الى درجة لا نستطيع أن نجد له وجودا مستقلا نستطيع استخراجه من النص كبقية العناصر الأخرى مثل الشخصية والمكان وغيرها. وهو يتجلى في كثير من الأحيان من خلال استعمال مجموعة من المفردات التي تحيل دلاليا الى أبعاد زمنية. وقد استعان البهاء زهير بمجموعة كبيرة من هذه المفردات التي أشارت الى دلالات زمنية مباشرة مثل (زمان ، دهر ، يوم ، ساعة ، ليل ،

نهار ، شهر ، سنة ، صباح ، مساء .....الخ) ، ومنها ما يشير ضمنا أو بصورة غير مباشرة الى الدلالة الزمنية مثل (الحياة ، الموت ، الشيب ، الشباب......الخ).

وغالبا ما ترتبط هذه المفردات بالزمن النفسي ، فتتناغم مع تجربة الشاعر وأحاسيسه معبرة عن وجدانه ومظهرة معاناته الداخلية ، مع الحفاظ على ارتباطها الوثيق بدلالتها الزمنية العامة. وسنحاول الوقوف على بعض هذه المفردات من خلال تحليل بعض النصوص المشتملة عليها لنستكشف أبعادها الزمنية الموحية بالاحساس الداخلي للشاعر ، يقول البهاء زهير :(34)

إذا كنتَ مشغولاً وذا يومُ جُمْعَةٍ   ففي أيّمَا يومٍ تكونُ بلا شُغْلِ
فعدْني يوماً نجتمعْ فيه ساعةً   لأُمْلِيَ من شوقي إليك الذي أُمْلي
سأهواك في الحاليْن سُخْطِك والرّضَا   وأرضاك في الحُكْمَيْن جَوْرِك والعدلِ

الشاعر هنا يسخر الفاظ الزمن ومفرداته الطبيعية (يوم جمعة ، ففي أيما يوم ، فعدني يوما) ليعبر فيها عن أزمان حقيقية يحاول فيها أن يعالج مماطلة أحبته في لقائه ، فيبحث عن أوقات مستقبلية تتحقق فيها أمانيه بلقائهم ، فيعبر عن حبه وأشواقه التي وصلت به الى درجة صار فيها يعشقهم على الرغم من جورهم وسخطهم ومماطلتهم في لقائه. ويقول في موضع آخر :(35)

لَئِنْ جَمَعَتْنا بعد ذا اليوم خَلْوَةٌ   فلي ولكمْ عتبٌ هناك يَطُولُ
وكنتُ زماناً لا أقولُ فعلتمُ   ولكنَّني من بعدها سأقُولُ

....

سيندمُ بعدي مَنْ يَرُومُ قطيعتي   ويَذكرُ قولِي والزَّمان طويلُ

لقد استعمل البهاء في هذا النص مفردات الزمن وجعلها تتأرجح بين ثلاثية الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل) ، إذ أخذت بعدا زمنيا تحددت فيه ملامحها الوقتية من خلال السياق الشعري الذي جاءت فيه ، ففي البيت الأول وردت مفردة (اليوم)

وجاءت لتعبر عن الزمن لحاضر لان الحديث يدور في زمن القول ، إذ يتوعد الشاعر أحبته بأنه لو اختلى بهم بعد اليوم الذي هو فيه فأنه سيعاتبهم طويلا . وفي البيت الثاني والثالث نجد أن مفردة (الزمان) قد استعملت للدلالة على زمنين متعاكسين ، ففي البيت الثاني جاءت لفظة (زمانا) لتحيلنا الى زمن مضى وانقضى بدلالة الفعل (وكنت) أما في البيت الثالث فقد أشارت لفظة (الزمان) الى الدلالة المستقبلية بدلالة الأفعال(سيندم بعدي ....ويذكر قولي).

وقد تأخذ المفردات أبعادا زمنية محددة تحديدا فيزيائيا ، فيكون لها وقت معلوم له بداية ونهاية ، وتظل معه مرتبطة بالحالة الشعورية للشاعر، من ذلك قوله:(36)

يا غائبينَ وفي قلبي أشاهدُهُمْ وكُلَّما انفصلُوا عن ناظِري اتَّصَلُوا
قد جَدّد البعدُ قرباً في الفؤاد لهمْ حتَّى كأنّهمُ يوم النَّوَى وَصَلُوا

يستعمل البهاء في هذا النص مفردة (يوم) ويجعلها محددة تحديدا فيزيائيا من خلال إضافتها الى الحدث الذي شهده هذا اليوم وهو حدث الفراق (يوم النوى) ، وتبدو فاعلية هذه المفردة من خلال ارتباطها في السياق العام للبيتين ، فقد سخر الشاعر لها سياقا تقابليا كان للطباق فيه القدح المعلى (انفصلوا ×اتصلوا) ، (البعد×قربا) ، (يوم النوى×وصلوا). فنحن هنا أمام ثنائية ضدية بين (حضور × غياب) ، وضمن هذه الثنائية تتلاشى دلالة الزمن إذ يصير زمن الحضور هو نفسه زمن الغياب وتختفي الفواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ونصير أمام زمن نفسي اخترعته الذات الشاعرة لتتكيف مع محيطها الخارجي. فالبهاء يحاول أن يظهر مدى حبه وعشقه لأحبته، فهو يعشقهم ويسكنون فؤاده على الرغم من بعدهم عنه وفراقهم إياه ، حتى كأن (يوم النوى) هو يوم وصل وليس يوم فراق.

وقد تؤدي هذه المفردات دوراً ايجابياً في فنية النص من خلال دخولها في علاقات بلاغية تفقد معها دلالتها الزمنية المحددة ، فيسمو معها الخطاب الشعري الى درجة عالية من الإبداع والجمال ، من ذلك قوله:(37)

ووقفتُ من ملكِ الزَّمان بموقفٍ   ألْفَيْتُ قلب الدَّهْرِ فيه يَخْفِقُ
فإليك يا نجمَ السَّمَاءِ فإنَّني   قد لاح نجمُ الدِّين لي يتألَّقُ
الصالحُ الملكُ الَّذي لِزَمَانِه   حسنٌ يَتيهُ به الزَّمانُ وَرونَقُ

لقد استعمل الشاعر في هذا النص لفظة (الزمان) ثلاث مرات ولفظة (الدهر) مرة واحدة ، وقد أشارت جميعها الى زمن ممتد غير محدد تحديدا طبيعيا ، ويبدو أن الموقف الشعري هو الذي فرض عليه هذه الدلالة ، لأنه موقف مدح وتعظيم ، إذ أضفى على ممدوحه ثوبا من الهيبة والسلطان ، وجعله ملك الزمان كله. من خلال استعمال الشاعر هذه المفردات في معرض الاستعارة (ملك الزمان) و(قلب الدهر) و(يتيه به الزمان) ، فعبر فاعلية الاستعارة والتشخيص يفقد الزمن الإنساني محدوديته وتتحقق الضربة الشعرية عندما يفقد الزمن سطوته أمام الممدوح ويصير الممدوح هو من يتحكم بالزمن وليس العكس ، بل تصير العلاقة بينهما علاقة مابين ضعف (قلب الدهر يخفق) وقوة (ملك الزمان).

وقد تفقد مفردات الزمن دلالتها القريبة المحددة لتعبر عن التعاقب والديمومة الزمنية ، يقول البهاء مستعملاً مفردتي (أمسي وأصبح):(38)

رسائلُ الشَّوقِ عِندي لو بعثتُ بها   إليكمُ لم تَسْعها الطُّرْقُ والسُّبُلُ
أُمسي وأصبح والأشواق تلعبُ بي   كأنما أنا منها شاربٌ ثملُ

تتناغم في هذا النص الفاظ الزمن (أمسي ، أصبح) مع تجربة الشاعر ومعاناته النفسية ، إذ بث فيها من الآلام والهموم التي يعانيها ما غير من مسارها الطبيعي ، فعلى الرغم من أن التقابل العكسي واضح بين المفردتين من حيث الزمن الطبيعي

لهما إلا أن الشاعر كان ينظر إليهما بمنظار خاص تحول فيه الزمن الطبيعي الى زمن نفسي فتوحد فيه الزمنان (المساء والصباح) لأن الشاعر كان يعاني فيهما على السواء ألم الأشواق فيبدو فيهما سكرانا ثملا لا يصحو في أي وقت منهما.

وتعد مفردة (الليل) من المفردات التي حظيت بمساحة واسعة من شعر البهاء واستعان بها لرسم لوحاته الفنية لما تحمله من معان ودلالات في أثناء اتساقها في سياق شعري خاص. فجاءت لتعبر عن محسوساته النفسية والذاتية ، يقول مبالغاً في تصوير طول ليله:(39)

وليلةٍ قد بتُّها   لم أدرِ فيها ما السِّنَهْ
سيئة ما تركتْ   للدهر عندي حسنهْ
طالت فكم قد دار فيـ   ـها من فصول الازمنهْ
قدّرتها اليوم الذي   مقداره ألف سَنَهْ

يستعين الشاعر هنا بالقرآن الكريم للتعبير عن طول الليلة التي سهرها ، فهي تعادل عنده ألف سنة ، فيحيلنا الى قوله تعالى: ((يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)) (40) فقد مرت عليه وهو ساهر لم يذق طعم النوم وكأن فصول السنة قد تعاقبت عليه فيها. ولاشك أن في ذلك مبالغة زمنية تخرج الليل عن الحدود الطبيعية للزمن. ولكن ما يسوغ ذلك هو ارتباط الليل بوجدان الشاعر الذي يمر بأوقات متأزمة تعكس مدى الألم الذي يعانيه ، فيسطر ذلك شعرا يحمل إيحاءات الألم والتأزم النفسي.

ان الزمن النفسي زمن داخلي تدركه الذات في لحظات انتصارها وانكسارها ، فهو زمن يتراوح بين الطول والقصر ، ففي حالة السعادة والفرح والنشوة يتقلص الزمن ويقصر حتى يكاد يتلاشى ، ولكنه يصبح طويلا وممتدا ، كأنه بلا نهاية في لحظات الألم والهم. وهذا ما نلمسه في تناول الشاعر لمفردة (الليل) ، يقول:(41)

حدّثوا عن طول ليلٍ بتُّه   هل رأيتمْ هل سمعتمْ هل عُهِدْ
لا رعاه الله ما أطوله   تحبل المرأة فيه وتلِدْ
ليس ما أشكوه منه واحداً   كل شيء مرَّ بي فيه نكِدْ

تتجلى في هذا النص صورة الليل الطويل الذي يقاسيه الشاعر ، انه ليل ليس له مثيل على مر الأزمان والعصور ، فهو ليل خاص بالشاعر انفرد به وحده ، وهو يشكو من طوله المفرط وقسوته من خلال أسلوب التعجب (ما أطوله) ، إذ ينسجم المد الصوتي في(ما) مع الامتداد الزمني الطويل لهذا الليل الذي يشبه فترة حمل المرأة (تسعة أشهر). وليس الطول هو وحده ما يؤرق الشاعر وإنما هو يشكو من كل التفاصيل التي مر بها في ذلك الليل المشؤوم. لأنه ينظر اليه بمنظار نفسي داخلي يتسم بالألم وكثرة الهموم والأحزان التي حملته على السهر وجعلته ينظر الى الأشياء من منظار خاص رسم من خلاله طبيعة الليل الخاصة به.

إن الليل يرتبط ارتباطا وثيقا بما يتركه من أثر في وجدان الشاعر ، فتراه يختلف زمنيا طبقا لأحاسيسه ومزاجه ونفسيته ، فبعد أن رأينا الطول الزمني لليل البهاء ، نجد في الوقت نفسه ليلا آخر يتسم بقصره وحلاوته وعذوبته ، فنقرأ له قوله:(42)

رَعَى الله ليلة وصلٍ خَلَتْ   وما خالط الصَّفْوَ فيها كَدَرْ
أتَتْ بغتةً ومضت مسرعةً   وما قَصَّرَتْ من ذاك القِصَرْ
بغير احتفالٍ ولا كُلْفَةٍ   ولا موعدٍ بيننا يُنْتَظَرْ
فقلتُ وقد كاد قلبي يطيرُ   سروراً بنَيْل المنى والوَطرْ
أيا قلبُ تعرف من قد أتا   ك ويا عينُ تَدْرين مَنْ قَدْ حَضَرْ
ويا قمرَ الأفْقِ عُدْ راجعاً   فقد بات في الأرضِ عندِي قَمَرْ
ويا ليتني هكذا هكذا   وبالله باللهِ قِفْ يا سَحَرْ
فكانت كما نشتهي ليلةً   وطال الحديثُ وطابَ السَّمَرْ

ان القارئ لهذا النص يدرك بشكل واضح وملموس مدى السعادة التي كان عليها الشاعر والتي انعكست تماما على نظرته لليل ، فبعد ان رأيناه في نص سابق يدعو على الليل الطويل بقوله (لا رعاه الله ما أطوله) نجده هنا يدعو له بقوله (رعى الله ليلة) ، ولا عجب في ذلك ، لأن الليل الأول كان ليل هم وألم ، بينما كانت ليلته هذه (ليلة وصل) على غير موعد أو كلفة ، إذ جاءته بغتة وهو غير متأهب لها. ومن المعروف أن الأوقات الجميلة تمر سريعاً من دون أن يشعر بها من يعيشها ، وهذا ما خالج شعور البهاء وإحساسه (مضت مسرعة) ، فيحاول أن يطرد الإحساس بتسارع الزمن ، وان يوقف حركته ، أو بالأحرى يتوق للتوحد باللازمنية ، فنراه يقسم على وقت (السحر) بالتوقف لكي تطول هذه الليلة وتطول معها الأحاديث الجميلة بين الحبيبين ، ويطيب فيها السمر ، وينال الشاعر فيها مبتغاه ويحقق أحلامه وأمانيه.

لقد جعل الشاعر من (الليل) مفردة تتسم بالانفتاح لقابليتها الإيحائية بالزمن النفسي فضلا عن قابليتها التلوينية ، ولا سيما حين تؤسس لها موقعا في السياق ، وهذا ما نجده في قوله:(43)

لله ليلة بتنا والرقيبُ بها ناءٍ فلا عينه نخشى ولا أثَرَهْ
غرَّاء ما اسودّ منها إن جعلتُ لها عيباً سوى مقلةٍ كحلاء أو شعرهْ
بتنا بها حيث لا روعٌ يخامِرُنا ونفحةُ الراح والريحان محتمِرَهْ
لم يكسر النومُ عيني عن محاسنها حتى انثنيت وعين النجم منكسرهْ

ان الليل هنا يرتبط بسعادة الشاعر وفرحته بلقاء حبيبته بعيدا عن أنظار الرقباء ، إذ سهرا هذه الليلة من دون خوف أو وجل ، والشاعر هنا يبتعد عن الوصف الزمني لليل ، ولكن القارئ يدرك السرعة التي اتسمت بها تلك الليلة لأنها مثلت وقتا جميلا لم يأت فيها النوم الى مقلة الشاعر (لم يكسر النوم عيني) ، بينما يحيلنا الى الدلالة اللونية المستحصلة من مفردة (الليل) ، إذ نكون بإزاء ظاهرة تضاد لوني ، إذ

أن الشعور الجميل والايجابي للشاعر مهد السبيل لليل في أن يؤدي دورا طباقيا (غراء×اسود) فترى الليل يفارق طبيعته المعهودة الى طبيعة أخرى تتناغم مع وجدان الشاعر وأحاسيسه فيتحول فيه اللون الأسود (الظلمة) الى بياض في نظر البهاء . وليس من سواد سوى (مقلة كحلاء أو شعره) التي تحيل الى جمال الحبيبة الحاضرة التي لا يرى سواها.

ونجد الشاعر في موضع آخر يتحدى الليل الطويل المقترن بالشوق الدائم ، ويجيل نظره في عناصر الليل وجزئياته من بدر ونجوم ، فيقول:(44)

يا ليلُ مالكَ آخِرٌ　　　أبداً ولا للشوقِ آخِرْ
يا ليلُ طُلْ ، يا شوْقُ دُمْ　　　إنـي على الحالينِ صابرْ
لي فيك أجرُ مجاهدٍ　　　إن صحّ أنّ الليل كافِرْ
طرْفِي وطَرْف النَّجْم فيـ　　　ـكَ كلاهما ساهٍ وساهِرْ
يَهْنِيك بَدْرُك حاضِرٌ　　　يا ليت بدرِي كان حاضِرْ
حتى يَبينَ لناظِري　　　مَنْ منهما زاهٍ وزاهِرْ
بدري أرَقُّ محاسِناً　　　والفرقُ مثلُ الصُّبح ظاهرْ

على الرغم من أن الشاعر هنا يعاني من الليل الطويل والشوق الدائم الذي يؤرقه ويجعله ساهرا في هذا الليل القاسي ،إلا أنه يتحداه من خلال حديث مباشر (يا ليل مالك، يا ليل طل ، فيك ، فيك ، يهنيك ، بدرك) .إذ انه سيصبر على تلك الحالة ويعد ذلك جهاداً ضد الكفر المتمثل بـ(الليل) ، ثم يتشارك وجدانياً مع النجم الذي يشاركه السهر ولكنه يفترق مع البدر لأنه يذكره بحبيبته التي تفوقه حسنا وجمالا وإشراقا ، وهذا أمر واضح وجلي كوضوح الصبح وجلائه.

وعلى وفق ذلك يمكننا القول إن البهاء زهير أخضع الزمن لعوامل نفسية أوجدتها رحلته مع الحياة حيث كان الزمن يلاقيه بالسعادة فيقصر ، وبالهموم فيطول ، متلونا

بلون الحالة الوجدانية الداخلية للشاعر ، فالليل يتلاشى عنده ويقصر لأنه ممتلئ باللهو والأخبار السعيدة والسارة فيكون مشغولا عنه وعن الشعور به ، وعلى العكس من ذلك نجده في حال القلق والهموم يتحسس طول الليل لأنه يكون منشغلا به وبساعاته ، متمنيا مجيء الصبح ليجد مخرجا لعذابه المستمر باستمراره.

ومن المفردات التي لها علاقة وثيقة بالزمن (الحياة والموت)، فالإنسان وهو يتأمل الكون من حوله ينتابه شعور غريب تجاه حقيقة الزمن والحياة والموت ، شعور بالخوف والحيرة والاستسلام ، شعور تؤججه قسوة المصير الذي يقضي بالزوال والفناء على جميع البشر في حين يظل الزمن باقياً ممتداً لا يكترث للموت ولا يرهبه الزوال.(45)

وقد أفاد البهاء كثيرا من هاتين المفردتين في رسم خط بياني لبعض قصائده ، مستفيدا من ثنائية الحركة والسكون اللذين هما جوهر الزمن والكتابة الشعرية ، فيعمل هنا محور التضاد بين مفردتي (الحياة والموت) ، الموت الذي يمثل السكون وتوقف الزمن ، والحياة التي تمثل الحركة والاستمرار بالزمن ، فالزمن يدخل في تجليات أكثر خصوبة وتوهجا حين يمتزج مع ظاهرة التضاد بين الحياة والموت عبر النسق التركيبي الذي يضفي على ظاهرة الزمن بعدا إيحائيا ورؤية فنية جديدة. من ذلك قول البهاء: (46)

أنت روحي وقد تملّكتَ روحي وحياتي وقد سلبتَ حياتي
متُّ شوقاً فأحيني بوصالٍ أخبر الناس كيف طعم المماتِ

على وفق المنظور النفسي للبهاء فأن الزمن قد توقف (سلبت حياتي) و(مت شوقا) ، لذلك فهو يطمح الى عودة الزمن الى الحركة والمسير الطبيعي (فأحيني بوصال) لكي يعوض ما فاته من جمود الزمن ويعيد لمسيرة حياته طبيعتها وتكيفها مع طبيعة الكون والوجود ، ولكي يخبر الناس عن طعم الموت المر الذي تتوقف معه

عجلة الزمن والحياة. وبذلك تتشكل هذه الصورة الزمنية من خلال النسق التقابلي لتشكل معها خلية من خلايا النص الحية تتمثل فيها لحظة الهدم والبناء لتنبثق من هذه اللحظة رؤيا النص وتبلغ الفاعلية التصويرية ذروتها فيه من خلال الكشف عن خصائص الشاعر العاطفية والنفسية والشعرية.

وقد يتسلل الزمن من بين نصوص الشاعر عبر أسلوب التضاد أيضا ،لتعود الحياة الى طبيعتها ، ويولد الزمن الحي من رحم الزمن الميت ، وينكفئ العهد القديم بكل آلامه وأوجاعه لنشهد ولادة عهد جديد يغسل أدران الماضي ويمسح ذكرياته الأليمة ، يقول: (47)

لعمري لقد أحييتِ بي ميِّتَ الهوى   وجددتِ عهد الشوق وهو قديمُ
بحبكِ قلبي لا يفيق صبابةً   له أبداً هذا الغرام غريمُ
فميعادُ دمعي أن تنوح حمامةٌ   وميعادُ شوقي أن يهب نسيمُ

فالتضاد يشكل أحد محاور النص الأساسية ، إذ يتمظهر بين (أحييت×ميت) و (جددت×قديم) ، ومن خلال هذا التعانق بين الأطراف المتباعدة تنشأ الرؤية الفنية وينبثق الزمن الجديد ، زمن الحياة والاستمرار بديلا عن زمن الموت والانجماد والسكون ، وهذا ما نلحظه على مستوى استعمال الشاعر الأفعال مع مفردات الحياة (أحييت ، جددت) مما يوحي بالحركة والحيوية والاستمرارية ، بينما نجد استعمال الأسماء في الجانب المقابل (ميت ، قديم) التي توحي بالسكون والتوقف ، ((ذلك ان الفعل هو الوجه الظاهر لحركة الصورة ومن ثم فان افتقار الصورة الى الفعل يسلبها دون شك الطاقة على الحركة ويكسبها نوعا من السكون)).(48)

ومن المفردات التي لها علاقة وطيدة بالزمن أيضا (الشيب والشباب) ، وهي تعبر عن موضوع إنساني عام يتصل بالطبيعة البشرية المتشبثة بأهداب الحياة ، والتي ترى في ذهاب الشباب إيذانا بمغيب شمس وجودها وفراق مباهج الحياة

ومتاعها(49) وقد وردت في شعر البهاء زهير مقطوعات وإشارات عن الشيب والشباب ، من ذلك قوله:(50)

نزل المشيب وإنَّهُ   في مَفْرقي لا غَزْوَ نَازلْ
وبكيتُ أنْ رحل الشبا   ب فآهِ آهِ عليه راحِلْ
باللهِ قل لي يا فُلا   نُ ولِي أقولُ ولِي أسائِلْ
أتريدُ في السبعين ما   قد كنتَ في العشرين فاعِلْ
هيهات لا واللهِ مَا   هذا الحديثُ حديثَ عاقِلْ
قد كنتَ تُعْذَرُ بالصِّبا   واليوم ذاك العُذْر زائلْ
منَّيْتَ نفسَك باطلا   فإلى متى ترضى بباطلْ
قد صار من دونِ الَّذي   تبديه من مزْح مَراحِلْ
ضيّعتَ ذا الزّمنَ الطو   يل ولم تَفُزْ منهُ بطائِلْ

ان حديث البهاء عن الشيب والشباب مليء بالشجون والعبرات لأنه ليس مجرد حديث عابر بل هو قضية العمر الضائع ، وهذا ما نراه واضحا في هذا النص ، فمنذ الوهلة الأولى نجد الشاعر يبكي على شبابه ويأسف على ذلك الزمن المليء باللهو واللعب ، ونراه يدعو نفسه الى ترك ملذات الشباب بعد ان حل المشيب وبلغ السبعين من العمر ، إذ لا يمكن أن تكون أفعاله في هذا العمر هي نفسها في أيام شبابه ، ونراه يطلق هذه الدعوة على شكل صيحة إنسانية يسودها الوعظ والإرشاد ودعوة الانسان الى ترك ملذات الحياة ولهوها ، فهي مضيعة للوقت والعمر، وهي وإن وجد لها العذر في زمن الشباب فانه قد انتفى ذلك العذر في زمن المشيب.

لقد انتقل البهاء زهير بمفردتي الشيب والشباب الى أبعاد زهدية وعظية يندم فيها على ما ضاع من عمره في زمن الشباب ويتخوف من الزمن الآتي ، يقول:(51)

مَضَى الشَّباب وولَّى ما انتفعتُ به   وليته فارطٌ يرجَى تَلافيهِ

أو ليت لي عملاً فيه أُسَرُّ بهِ   أو ليتني لا جَرَى لي ما جَرَى فيهِ
فاليومَ أبْكي على ما فاتَني أسَفاً   وهل يفيدُ بكاءٌ حينَ أبْكيه
واحَسْرَتاهُ لعمرٍ ضاعَ أكثرُه   والويل إن كان باقِيه كَمَاضيه

نجد في هذا النص الحسرة واضحة على الشاعر ، فهو يتأسف على ذهاب الشباب الذي مضى من دون أن ينجز فيه عملاً ينتفع به ، وقد جرى له فيه ما جرى من ألم وعذاب ، لذلك نراه يتخوف من أن تكون أيامه القادمة شبيهة بتلك التي مضت. ويمكن أن نرصد تلك الحسرة وذلك الأسف في النص من خلال تكرار الشاعر للأداة (ليت) التي تشير الى أمنيات الشاعر بعودة ذلك الزمن الذاهب.

لقد كانت هذه الثورة الوعظية في زمن الشيخوخة ، وبعد أن حل المشيب ضيفا على الشاعر ، ولكن ماذا كان يفعل في شبابه ؟ وكيف قضاه ؟ هذا ما نلمسه في قوله:(52)

وعاذلةٍ باتَتْ تلومُ على الهوى   وبالنُّسْكِ مِن شَرْخ الشباب تُشيرُ
لقد أنكرتْ منِّي مشيباً على صِباً   ورقَّتْ لقلبي وَهو فيه أسيرُ
أتتْني وقالت يازهيرُ أصَبْوةٌ   وأنت حقيقٌ بالعفافِ جديرُ!
فقلت دعيني أغتنمْها مَسَرَّةً   فما كلّ وقتٍ يستقيمُ سرورُ
دعينيَ واللَّذات في زمن الصِّبا   فان لامني الأقوام قيل صَغيرُ
وعيشك هذا وقت لهْوي وصبوتي   حريصٌ على نيل العلى وقديرُ
يولِّهُ عقلي قامةٌ ورشاقةٌ   وَيخْلب قلبي أعينٌ وثُغُورُ
فإن مِتُّ في ذا الحبِّ لست بأوَّل   فقبليَ مات العاشقون كثيرُ

يبدو هنا ان الشيب قد لحق الشاعر منذ شبابه ، ولا شك ان هذا الشيب هو من آثار الحب عليه (مشيبا على صبا) ، كما يبدو انه يدافع عن اللهو واللعب في عصر الشباب ، لأنه يرى ان ذلك الوقت هو وقت اللهو والحب والعشق ، فتراه يرد على

عاذلته التي تطلب منه ان يتعقل في وقت شبابه ، فيجيبها بأن تتركه وملذاته وحياته الجميلة وان تتركه في عشقه وولهه ، فهو مستعد للموت دون ذلك ، ولا عجب من ذلك لان كثيرا من العاشقين قد ماتوا من الحب وهلكوا بسببه.

وعلى وفق ذلك كله يمكننا القول إن تكرار المفردات التي تتعلق بالشيب والشباب (الشيب ، المشيب ، الشباب ، الصبا......) ما هو إلا انعكاس لصراع نفسي تعيشه الذات الشاعرة ، صراع غير متكافئ بين القوة (الشباب) والضعف (المشيب) ، مما يشكل أزمة نفسية تتكمش الذات الشاعرة بسببها وتتراجع تحت وطأة الإحساس بالزمن وانتقالها من الطرف الأول في الصراع (القوة/الشباب) الى الطرف الآخر (الضعف/المشيب).

ولا بد لنا في الختام أن نوجز القول في قضية الزمن في شعر البهاء زهير فنقول إن شعره كان عبارة عن شبكة من العلاقات الزمنية التي تتداخل فيها الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل)، فيتنقل بينها ولا يستقر على زمن معين ، وهذا مرتبط بفوضى الشاعر والاختلاجات النفسية التي تراوده واضطراب الحالة الشعورية مابين الماضي والحاضر والمستقبل ، فكان يعود الى الماضي ويسترجع ذكرياته فيه فتتحرك عنده مشاعر الحنين الى الأيام الجميلة والأمكنة والشخصيات ، وكان المكان عنصرا مهما في ذكرياته لما يمثله من تاريخ شخصي ، أو لما يمثله من مغامرات عاطفية ظلت مخزونة في ذاكرته فيضخها بدماء جديدة عبر جسر التذكر متحديا بذلك قوانين الزمن الطبيعية ، كما نراه في استرجاعه لتلك الذكريات يهتم كثيرا بالتفصيلات الدقيقة وكأنه يحاول أن يمسك بالزمن ويوقف اللحظة الحاضرة في ذهنه وقد تجلى ذلك بوضوح في موقف الوداع. وكما كان يعود الى الماضي نراه يستشرف المستقبل ويحلق في آفاقه بحثا عن زمن جديد يحقق له التكيف النفسي والانسجام الاجتماعي اللذين يخلو منهما زمنه الحاضر ، فيغادره متوجها نحو زمن جديد يرتب أحداثه فيه

بما تمليه عليه عاطفته وخياله ، ويركب مفردات الزمن بالصورة التي تنسجم مع تطلعاته وآماله.

وقد استعان في ذلك كله بمجموعة كبيرة من المفردات التي تعبر عن دلالات الزمن بصورة مباشرة وأخرى بصورة غير مباشرة ، وكان الشاعر في استعمال هذه المفردات يعمد الى تركيبها وتنسيقها طبقا لما يمليه عليه وجدانه ، فهي تتناغم مع خلجات نفسه وتعكس تجربته الخاصة فتعبر عن أحاسيسه ومشاعره فغادرت في كثير من نصوصه الشعرية موقعها الطبيعي (الدلالة الزمنية) الى دلالات نفسية ووجدانية تعكس أحساس الشاعر بالزمن وتكشف عن ألمه ومعاناته من جراء سطوة الزمن عليه ، وأحيانا تعكس فرحته وسعادته حين تكون نفسه مستبشرة وسعيدة ، لذلك نجد دلالات الزمن تتغير طبقا لأحاسيس الشاعر ومشاعره ، فقد أخضع الزمن لعوامل نفسية أوجدتها رحلته مع الحياة حيث كان الزمن يلاقيه بالسعادة فيقصر أو يتلاشى ، وبالهموم فيمتد ويطول وتطول معه معاناته ويشعر بقسوة الزمن وجبروته .

الـهوامش

(1) ينظر: بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ : 26.

(2) ينظر: نحو رواية جديدة : 134.

(3) النقد الفني، دراسة جمالية وفلسفية: 94.

(4) الأسس المعنوية للأدب: 16.

(5) ينظر: الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم : 138، 139، 142، 156، 157.

(6) ينظر: الشعرية : 48.

(7) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: 57.

(8) المصدر نفسه:71.

(9) ينظر: انتصار الزمن، دراسة في أساليب معالجة الماضي في الفكر الإحيائي: 68.

(10) ينظر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام: 97.

(11) ينظر: الشعر والزمن : 9.

(12) الزمن في الأدب: 34.

(13) ينظر: وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي : 159.

(14) زمن الشعر: 213.

(15) اتجاهات الشعر العربي المعاصر : 83 .

(16) الشعر والزمن: 102 .

(17) ينظر: خطاب الحكاية: 47 .

(18) خطاب الحكاية:51.

(19) نازك الملائكة ، أفق الحداثة: 26.

(20) ديوان البهاء زهير : 275

(21) المصدر نفسه:186

(22) المصدر نفسه:186

(23) المصدر نفسه : 72

(24) المصدر نفسه:210

(25) ينظر: في حداثة النص الشعري ، دراسات نقدية: 41.

(26) ديوان البهاء زهير : 155.

(27) مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا : 76 .

(28) ينظر:أساليب الشعرية المعاصرة:111 .

(29) ديوان البهاء زهير : 211

(30 المصدر نفسه : 154.

(31) بنية الشكل الروائي (الفضاء–الزمن–الشخصية) : 133.

(32) ديوان البهاء زهير : 167

(33) المصدر نفسه:181

(34) المصدر نفسه:210

(35) المصدر نفسه:215–216

(36) المصدر نفسه:217.

(37) المصدر نفسه:176.

(38) المصدر نفسه:216.

(39) المصدر نفسه:260.

(40) السجدة:5.

(41 ديوان البهاء زهير:75.

(42) المصدر نفسه:125 .

(43) المصدر نفسه:91 .

(44) المصدر نفسه:124–125 .

(45) ينظر: الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي: 19.

(46) ديوان البهاء زهير : 188.

(47) المصدر نفسه:244.

(48) الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى 1958: 183.

(49) ينظر: الباكون على الشباب : 48.

(50) ديوان البهاء زهير : 223–224.

(51) المصدر نفسه:285.

(52) المصدر نفسه:93.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

* اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، د.إحسان عباس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (2) ، ط(1) .

* أساليب الشعرية المعاصرة ، د.صلاح فضل ، دار الاداب ، بيروت ، ط(1) ، 1995م .

*الأسس المعنوية للأدب، عبد الفتاح الديدي، دار المعرفة للنشر، القاهرة، 1966م.

* انتصار الزمن، دراسة في أساليب معالجة الماضي في الفكر الإحيائي، محمد عبد الحسين الدعمي – دار آفاق عربية – بغداد، 1985م.

* الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي ، حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة النهضة المصرية ، 1988م.

* الباكون على الشباب ، د.إحسان النص ، مجلة العربي ، عدد262 ، 1980م.

*بناء الرواية ،دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984م.

* بنية الشكل الروائي (الفضاء–الزمن–الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، لبنان–بيروت ، ط1، 1990م .

* خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، جيرار جينيت ، ترجمة: محمد معتصم ،عبد الجليل الازدي ،عمر حلمي ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط(2) ، 1997م.

*ديوان البهاء زهير ، شرح وتحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ، ومحمد طاهر الجبلاوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط(2) ، (د.ت).

*الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ،د.حسام الدين الآلوسي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط(1).

* زمن الشعر، أدونيس، دار العودة – بيروت، الطبعة الثانية، 1978م.

* الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة أسعد رزوق، مراجعة العوضي الوكيل، إشراف إبراهيم عبدة، مؤسسة فرانكلين للنشر، 1972م.

* الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى 1958 ، يوسف الصائغ ، مطبعة الأديب البغدادية.

* الشعر والزمن، جلال الخياط، دار الحرية للطباعة والنشر – بغداد، 1975م .

* الشعرية ، تزفيتان تودوروف ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط(1).

* الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د.عبد القادر الرباعي، الأردن، جامعة اليرموك، 1980م.

*الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا ،د.إبراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط(1)، 2001م.

* في حداثة النص الشعري ، دراسات نقدية ، د.علي جعفر العلاق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،1990م .

* مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا ،سمير المرزوقي وجميل شاكر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ، 1986م .

* نازك الملائكة ، أفق الحداثة ، طراد الكبيسي ، مجلة الاقلام ، بغداد ، ع(1-2) ، 1992م .

*نحو رواية جديدة ، آلان روب جرييه ، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى ، دار المعارف ، مصر ،(د.ت) .

*النقد الفني،دراسة جمالية وفلسفية،جيروم ستولنيتز ،ترجمة د.فؤاد زكريا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة الثانية، 1981م.

* وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، حياة جاسم، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1972م.